جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

من بلاغة الإيحاء الصوتي في البيان النبوي
أحاديث مختارة من الترغيب والترهيب

إعداد

د / ماجدة يسري أحمد السيد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد
و جامعة الأزهر

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

من بلاغة الإيحاء الصوتي في البيان النبوي
" أحاديث مختارة من الترغيب والترهيب"

ماجدة يسري أحمد السيد
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني: magdayusri.2033@azhar.edu.eg

الملخص:
هذا بحث بعنوان "من بلاغة الإيحاء الصوتي في البيان النبوي " أحاديث مختارة من الترغيب والترهيب ". وهذه الدراسة تسلط الضوء على جانب من جوانب من بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم وهو الإيحاء الصوتي، كما بينت هذه الدراسة كيف وظف النبي صلى الله عليه وسلم الإيحاء الصوتي في التعبير عن معان كثيرة لم يصرح بها النبي صلى الله عليه وسلم هذا و الإيحاء بالصوت يشمل الإيحاء بالمد والإيحاء بالإدغام والإيحاء بالتضعيف، وقمت باختيار مجموعة أحاديث مختارة من كتاب الترغيب والترهيب بما يتناسب وموضوع الدراسة . وعلى هذا النحو جاء البحث في مقدمة وتمهيد ثلاثة مباحث وخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ، هذا وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن الإيحاء بالأمور التي أشرت إليها تنبعث من ورائه معان ثانوية كثيرة ، يتوصل إليها من خلال السياق والموقف الذي يعالجه النبي صلى الله عليه وسلم وما ذاك إلا طرف من بلاغته صلى الله عليه وسلم .

الكلمات المفتاحية: النبي – صلّى الله عليه وسلم – الإيحاء – المد – الإدغام– التضعيف

From the eloquence of vocal suggestion in the Prophet's statement, "Selected Hadiths of Encouragement and Intimidation"

Magda Yousry Ahmed Al-Sayed
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt
Email: magdayusri.2033@azhar.edu.eg

Abstract:
this is a study entitled "From the eloquence of vocal suggestion in the Prophet's statement" Selected hadiths of encouragement and intimidation. This study sheds light on one aspect of the eloquence of the Prophet, may God bless him and grant him peace, which is vocal suggestion. This study also showed how the Prophet, may God bless him and grant him peace, employed it. The vocal suggestion is used to express many meanings that were not stated by the Prophet, may God bless him and grant him peace. The suggestion by the voice includes the suggestion of extending, the suggestion of assimilation, and the suggestion of weakening. I have chosen a selection of hadiths from the book of encouragement and intimidation in a way that suits the subject of the study. In this way, the research included an introduction and introduction to three sections and a conclusion in which I explained the most important results reached by this study. It has become clear through this study that the insinuation of the matters I referred to emanates from behind it many secondary meanings, which are reached through the context and situation that the Prophet is dealing with. May God bless him and grant him peace, and that is only part of his eloquence, may God bless him and grant him peace.

keywords : The Prophet, May God Bless Him And Grant Him Peace, Revelation, Extension, Assimilation, Weakening.

المقدمة

الحمد لله حمداً طيباً طاهرا كثيراً مبارك فيه ملئ السموات وملئ الأرض وملئ ما بينهما وملئ ما شاء ربي من شيء بعد ، يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجه ولعظيم سلطانك ، وأصلي وأسلم على اشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فحين نتحدث عن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإننا نقف عاجزين أمام بلاغة هذا النبي الأمي الأمين الذي لم يجلس إلى معلم ولم يتلق فنون البلاغة والبيان ، لكن يكفيه أن معلمه شديد القوى قال تعالى (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)[1] ، فكان صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة ،و كما قال عن نفسه صلى الله عليه وسلم (أوتيت جوامع الكلم) [2] وكما قالت عنه السيدة عائشة كان «يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ». [3]

والدراسة التي أنا بصددها هي طرف من بلاغته صلى الله عليه وسلم وملمح بسيط وضئيل من ملامح بلاغته صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا كان عنوان الدراسة :

---

(١) سورة النجم : ٥

(٢) مسند أحمد ١٢/ ٣٦٦ – المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) – المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

(٣) صحيح البخاري ١٩٠/٤ المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

من بلاغة الإيحاء الصوتي في البيان النبوي (أحاديث مختارة من الترغيب والترهيب)

الدراسات السابقة :

١- الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن د/ قاصد ياسر الزيدي

وقامت هذه الدراسة بدراسة إيحاء المدود والدلالة الصوتية لهذه الممدود والعلاقة بين المدود وبين والمعنى الذي تؤديه المفردة القرآنية وكذلك الدلالات المقطعية لبعض المفردات القرآنية .

أهمية البحث وأهدافه :

١- مادة هذا البحث حديث النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- جدة هذا الموضوع فلم أقف – فيما أعلم – على دراسة قامت بتناول هذا الجانب من بلاغته صلى الله عليه وسلم .

٣- إضافة دراسة جديدة للمكتبة البلاغية .

أهداف البحث :

١- بيان درجة بلاغته صلى الله عليه وسلم وأنها تعلو كل بلاغات البشر.

٢- بيان دور الايحاء الصوتي في كلامه صلى الله عليه وسلم ، و دلالته على المعنى في أبلغ صورة .

٣- إبراز إيحاء المد وأثره على المعنى في كلامه صلى الله عليه وسلم .

٤- الوقوف على إيحاء الإدغام ودوره في تجلية المعنى .

٥- بيان دور الإيحاء بالتضعيف وبيان كيف أن له دور بالغ في الوفاء بالمعنى المراد إيصاله للمخاطب .

هذا وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث :

المقدمة : تحدثت فيها عن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم وتأثره بالهدى القرآني، وتحدثت كذلك عن أهمية البحث وأهدافه .

والتمهيد : تحدثت فيه عن تعريف الإيحاء ، ومعنى الصوت .

وقد جاء البحث في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المد وإيحاءاته واقتصرت على المد بالألف .

المبحث الثاني : الإدغام وإيحاءاته .

المبحث الثالث: التضعيف وإيحاءاته .

الخاتمة : ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .

التمهيد

معنى الإيحاء :

الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة.(١)

وقيل الوحي :إعلام في خفاء ، (٢) و الإيحاء: إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة. (٣)

١- فمادة الكلمة ومشتقاتها تدور حول معنى خفي ، ومن ثم لا يتوصل إلى ذلك المعنى إلا بعد عناء فكر وكد ذهن ، فلا يظفر بهذا المعني إلا من علت بلاغته وارتفعت درجته . ولست أعني بهذا نفسي لأن هذه الدراسة ماهي إلا اجتهاد مني ، قياسا على دراسة قرآنية ، وهذه الدراسة التي أشرت إليها في المقدمة وهي : الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن د/ قاصد ياسر الزيدي

"ويشعرنا بهذا الخفاء الذي يتسم به الإيحاء ، أنه مما وصف به شياطين الجن ، ومعهم من وصفوا بشياطين الإنس ، لتخلقهم بخلق الشياطين في قول

(١) معجم مقاييس اللغة ٩٣/٦ – المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) – المحقق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر – عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ٤٠/ ١٧١ – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) – المحقق: مجموعة من المحققين – الناشر: دار الهداية

(٣) التعريفات : ٤٠- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) – المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر – الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان – الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

السوء والزور ، فقال تعالى مصورا هذه الوشيجة التي بين الفريقين : [١] (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [٢]

أما تعريف الصوت :

لم يكن هناك فرق بين الصوت والحرف عند الخليل ، فـ "مصطلح " صوت " لم يرد في مادة الخليل الصوتية، ولم يكن من مصطلح العلم اللغوي إلا في القرن الرابع الهجري ....أن كلمة " حرف " تعني في مصطلح الخليل ما نعنيه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر فقوله " حروف الكلمة " يعني أصواتها " [٣]

إلى أن جاء ابن جني وعرفه بقوله "اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته " [٤]

كما " قالوا في تعريف الصوت: هو كيفية قائمة بالهواء تحدث بسبب تموجه بالقرع أو القلع فتصل إلى الصماخ بسبب وصول محلها وهو الهواء وليس كذلك، إذ لو كان قائما بالهواء لما سمع من قعر الماء وكذا من وراء جدار دق،

---

(١) الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن الكريم :٢ د قاصد ياسر الزيدي بحث منشور – ملتقى أهل التفسير .

(٢) سورة الأنعام : ١١٢

(٣) كتاب العين ١١/١ بتصرف – المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي – الناشر: دار ومكتبة الهلال .

(٤) سر صناعة الإعراب – المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) – دار الكتب العلمية بيروت–لبنان – الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م

ولا يشترط لإدراكه وصول الهواء المقروع لهذين، ولأنه يسمع من المكان العالي، والهواء لا ينزل طبعا ولا قسرا [١]

وعرفه د. إبراهيم أنيس بأنه "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها ولا ندرك كنهها "[٢]

أما عن بلاغته صلى الله عليه وسلم فكلامه "هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف "[٣] ولا غرو في ذلك فقد علمه شديد القوى لذا جاءت بلاغته صلى الله عليه وسلم مغايرة لبلاغات البشر ، يقول الجاحظ " لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلامه – صلى الله عليه وسلم "[٤] "لذا ترى كلامه صلى الله عليه وسلم يخرج من حدود الزمان، فكل عصر واجد فيه ما يقال له "[٥]

يعلل الرافعي لذلك فيقول "وألفاظ النبوة يعمرها قلبَ متصلَ بجلال خالقه، ويصقِلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها

(١) الكليات : ٥٦٢ – المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري – الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

(٢) الأصوات اللغوية : ٦ – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الخامسة ١٩٧٥

(٣) البيان والتبيين ١٣/٢ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) – الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت – عام النشر: ١٤٢٣ هـ

(٤) المصدر السابق ١٤/٢

(٥) وحي القلم ١٢/٣ – المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) – الناشر: دار الكتب العلمية – الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

جاءت من سبيله " [1] فقد بدا واضحا في كلامه صلى الله عليه وسلم تأثره بالهدي القرآني ، ومن مظاهر هذا التأثر استخدامه صلى الله عليه وسلم للإيحاء الصوتي وتوظيفه للغرض الذي سيق من أجله .

(١) **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٩٣ – المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م**

المبحث الأول

المد وإيحاءاته

المد لغة: هو المط والزيادة. وفي الاصطلاح هو: إطالة الصوت بحرف من أحرف المدّ الثلاثة ، الألف الساكنة (المفتوح ما قبلها) ،الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، الياء الساكنة المكسور ما قبلها . (١)

وسأقتصر على المد بالألف في الأحاديث التي أوردها في هذا المبحث .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»(٢)

الغدو: الغدوة بالضم : البكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. (٣) – يكون في أول النهار وبعد قسط من الراحة فالإنسان في هذا الوقت يكون أكثر نشاطاً .

والفعل "غدا" يشعر بسهولة الفعل لأن الانسان في أول النهار يكون نشيطاً بعد فترة من النوم .

والمد بالألف في قوله " راح" يشير إلى طول أمد ذلك الرواح وأنه قد قام بهذا الفعل عدة مرات .

---

(١) شرح طيبة النشر في القراءات العشر : ٧١– بتصرف المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) – ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

(٢) صحيح البخاري : ١/ ١٣٣–

(٣) لسان العرب : ١١٦/١٥ لابن منظور . محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

أما الفعل " راح" فهو في آخر النهار بعد أن ينتهي الإنسان من أعماله فقد يحتاج هذا الأمر إلى مجهود ومجاهدة للنفس أكثر فالإنسان في هذا الوقت يحتاج إلى الراحة بعد عناء النهار ومشقته .

ولا يخفى دور الطباق بين " غدا أو راح " وما يضفيه على السياق من روعة وجمال ، فقد بين حال هذا الرجل الذي يبدأ يومه بالذهاب إلى المسجد ويختمه كذلك بالذهاب إلى المسجد ، مع ما هو عليه من المشقة والتعب ، إلا أنه قد آثر رضا الله على راحته فكان الجزاء منازل في الجنان .

وقد آثر البيان النبوي التعبير بـ " أو " ، لأنه لو قال " غدا و راح " لكان الشرط الجمع بين الأمرين ذلك حتى لا تقتصر الأجر على من يجمع بين كلا الأمرين " الغدو والرواح " ففضل الله واسع ، فيمكن أن يشمل من فعل أحدهما .

وانظر إلى الجزاء في قوله " أعدَ " فهو جزاء للشرط ومجازاة على الفعل وهو الذهاب إلى المسجد في هذين الوقتين . ومن المعد ؟ إنه الله جل في علاه .

ومعلوم أن الإعداد يحتاج إلى تهيئة وترتيب على نحو معين ، فهذا يدل على أن هذا العمل ذو مكانة وقيمة عالية عنده سبحانه جل في علاه .

وكلما تدل على تكرار الفعل ، فالتعبير بها دل على هذا الفعل قد تكرر مرات عديدة .

والتعبير بالظاهر في قوله " كلما غدا أو راح " مع تقدم ذكره ؛ اهتماماً به لعلو شأنه وقدره ، فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يؤكد على أهمية هذين الوقتين ، وذلك من خلال قرع هذه الكلمات لآذان الصحابة رضوان الله عليهم ومن يأتي بعدهم أكثر من مرة .

هذا والكلام إذا تكرر تقرر فالتكرار ." يأتي في الكلام تأكيدا له، وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك."[١] و " إن الحديثَ ليعاد على قدر عِظَم المحدث عنه ومبلغ مكانته، ..... فقيمة التوكيد تكمن في " دوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن ذلك. وأظن أن نابليون هو القائل بأن أهم صيغ البيان التكرار، فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخًا تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة . ..و للتكرار تأثير في عقول المستنيرين وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى. والسبب في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان"[٢]

وقُصارى القول :إننا لا نجد قاعدةً مِن قواعد التربية، ولا ركنًا من أركان الاجتماع، إلا بَيَّنَه الرسول صلى الله عليه وسلم أجلى بيان، ووفاه حق التوفية"[٣]

(١) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٣ / ٤- ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) - المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة

(٢) روح الاجتماع : ٨٧ جوستاف لوبون ترجمة ترجمة أحمد فتحي زغلول مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

(٣) مجلة الإسلام: السنة التاسعة: العدد ١٥، ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٩هـ، ١٧ مايو ١٩٤٠م

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " رواه البخاري ومسلم [1]

المد بالألف في قوله صلى الله عليه وسلم " تحابا " والذي يوحي بطول أمد التحاب بين هذين الرجلين ، فلم يكن هذا التحاب لفترة وجيزة بل إنه قد طال وصارت له جذور عتيقة وعميقة لا يمكن لأي أحد أو طارئ أن يزعزعها لأنها تستقي ما يقيمها من الله .

كما يوحي المد بالألف في قوله صلى الله عليه وسلم " تحابا " بأن هذين الرجلين قد ارتفعا وارتقيا بهذا الحب فوق كل مآرب الدنيا ومتاعها الزائل فقد تغلبا على هذا كله ، وخلصا وارتقيا بهذا الحب في الدنيا فكان جزاءهما أن يرقيا إلى ظل الله يوم القيامة وهذه منزلة ليس بعدها منزلة .

وكذلك التضعيف في الفعل " تحابا " مع المد يوحي بأن هذا الحب يتزايد ويكثر بطول أمد التحاب ، حتى تكون آصرة هذا الحب أقوى من آصرة الأخوة من النسب .

ومجيء الفعل بصورة الماضي للدلالة على تحقق الفعل وثبوته ثبوتاً لا يحتمل معه شك ، فقد أكد ثبوت شجرة هذا الحب ورسوخ جذورها .

---

(١) صحيح البخاري ١٣٣/١ ، صحيح مسلم ٧١٥/٢- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

و المد في قوله " إني أخاف الله " ، يوحي بأن هذا الخوف جعل صاحبه يترفع عن الدنايا وعن ملذات الحياة الدنيا وكأن هذا الخوف قد ارتقى به وبنفسه وجعلها تتخلص مما يدنسها ويغضب ربها .

والتعبير بالفعل المضارع " أخاف " يدل على ديمومة هذا الخوف وملازمته لصاحبه في كل وقت وحين ، ولأن هذا الخوف كان ملازماً له ، فقد كان هذا الخوف منقذاً له في أحلك الظروف ، كما هو الحال هنا .

والإتيان باسم الجلالة " الله " في هذا المقام لما له من المهابة والجلال وإدخال الروع والخوف في نفس المتكلم ، فكأنه يذكر نفسه بهذا الاسم وما يستلزمه من إجلال وتعظيم ومهابة .

كذلك يذكر به أي بسم الجلالة " الله " المخاطب وهو تلك المرأة التي دعته فكأنه يقول لها بطريق غير مباشر أنه لابد من مراقبة "الله " ومخافته لما له من العظمة والجلال .

و المد في قوله " ففاضت عيناه " يوحي بانهمار وانسكاب الدمع وغزارته .

كما أن " الألف "بطولها وارتفاعها توحي بأن هذا الدمع ينحدر من مكان عال ومرتفع وهذا أدعى لغزارته وانسكابه بشدة .

هذا بالإضافة إلى ما يفيده الفعل " فاض " [1]، فالفضيان هو انهمار الماء وانحداره بشدة وقوة .

وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالفعل " فاض " دون "سال" لأنه لا يقال فاض إلا " إذا سال بكثرة ومنه الإفاضة من عرفه وهو أن يندفعوا منها بكثرة ،

(١) (فيض) الفاء والياء والضاد أصل صحيح واحد يدل على جريان الشيء بسهولة . مقاييس اللغة .٤ / ٤٦٥ لمؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر –عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

وقولنا سال لا يفيد الكثرة ويجوز أن يقال فاض إذا سال بعد الامتلاء وسال على كل وجه ."[1]

فهذا الوصف والتصوير يعبر عن الحالة الإيمانية التي اعترت هذا الرجل . كما عبر هذا الوصف عن الحالة الوجدانية التي سمت بصاحبها إلى عنان السماء .

فقد استشعر هذا الرجل بقلبه ووجدانه عظمة الله وجلاله مما دعا سائر الجوارح أن تعيش معه هذه اللحظة فخضع القلب وصفا وفاضت العين وانهمر منها الدمع .

وكان جزاء هذا السمو والإخلاص أن يعتلي مكانة عالية هي ظل الرحمن يوم القيامة.

والمد بالألف في قوله " فأخفاها " يوحي بأن هذا المتصدق قد بالغ في إخفاء هذه الصدقة حتى بلغ ذروة الإخفاء فصارت يده اليسرى لا تعلم ما أنفقت يده اليمنى من شدة الإخفاء .

كما يوحي المد بأن هذا الرجل الذي آثر الإخفاء على الإظهار مع أن الإظهار أيضاً له مزيته في الشرع حيث يقول تعالى (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).[2]

---

(١) الفروق اللغوية ١/ ٣٠١ – المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) – حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

(٢) البقرة :٢٧١

يوحي بأنه قد ترفع عن كل مدح دنيوي مما يكون وقت التصدق ، ورغب في خلوص الأجر الأخروي ، وهذا يدل على سمو نفسه في هذا الوقت ، فقد ارتضت هذه النفس أن يكون الله هو المبتغى الأول والأخير وكفى .

ومن ثم كان جزاء هذا الرجل أن يكون مقامه ومكانته يوم القيامة في ظل عرش الرحمن سبحانه وتعالى .

ولا يخفى علينا أثر أسلوب التشويق الذي ابتدأ به النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حين قال سبعة فقد أبهم أولاً ثم وضح ثانياً .

وقد آثار هذا الأسلوب فكر وانتباه الصحابة فتشوقوا إلى معرفة هؤلاء السبعة الذين يتحدث عنهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وماذا فعل هؤلاء السبعة حتى حازوا هذه المنزلة العالية التي لا تدانيها منزلة .

وجمال هذا الاسلوب يمكن في عرض الأمر مرتين مرة مبهما حتى يثير فكر السامع ثم وضح ثانياً .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ زَمَنَ الشِّتَاءِ وَالْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، فَأَخَذَ بِغُصْنَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ، قَالَ: فَجَعَلَ ذَلِكَ الْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، قَالَ: فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ " قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَتَهَافَتُ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَهَافَتُ هَذَا الْوَرَقُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ".(١)

المد بالألف في قوله صلى الله عليه وسلم " تتهافت "(٢) يوحي بتطاير الذنوب عن هذا العيد الذي أخلص في صلاته ، وكأن هذه الذنوب أصبحت

(١) مسند أحمد مخرجا : ٣٥ / ٤٤٠

(٢) هفت: هفت يهفت هفتا: دق. والهفت: تساقط الشيء قطعة بعد قطعة كما يهفت الثلج والرذاذ .لسان العرب ٢/ ١٠٤ ، هفت الشئ هفتا وهفاتا، أي تطاير لخفته. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١/ ٢٧٠ – المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

لا وزن ولا ثقل لها ، لذلك صارت كالأوراق البالية التي جفت ولم يعد لها أدنى ثقل فأصبح من السهل تساقطها وتطايرها .

وطول الألف والمد بها " تتهافت " يوحي بتصاعد هذه الذنوب عن العبد ، ثم تساقطها ، فهو يصور انسلاخها عن العبد أولاً ثم تطايرها ثانياَ ، كما حدث لأوراق الشجر الجافة ، وكان هذا جزاء إخلاصه في صلاته ، وابتغائه بها وجه الله دون سواه .

وحين ننظر في حروف الكلمة " تتهافت " نجد أن حروفها مهموسة [1] ماعدا الألف وهي ضعيفة هي الأخرى ، كل هذا يشعر بخفة هذه الذنوب وضآلتها بفضل عفو الله ومغفرته لها وهذا ما جعلها تتطاير .

وغير خاف على المتأمل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من توظيفه للموقف ، فقد استغل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الموقف المرئي المشاهد ليبين للصحابة رضوان الله عليهم فضل الصلاة وفضل الإخلاص فيها ، فقد استهل النبي صلى الله عليه وسلم كلامه بالتوكيد " إن العبد ليصلي " والصحابة رضوان الله عليهم لا يحتاجون إلى أي مؤكدات من جانبه صلى الله عليه وسلم، ولكن لما كان الأمر غريباً – وهو أجر الإخلاص في الصلاة – وربما يستهان به ، فنزل الصحابة منزلة المنكر فجاء الكلام مؤكدا بأكثر من مؤكد ، وقد يكون التوكيد راجعا لحال المتكلم وهي رغبته صلى الله عليه وسلم وحرصه على الاعتناء بهذا الأمر .وهو الإخلاص وخاصة في الصلاة التي هي عماد الدين .

وإيثاره صلى الله عليه وسلم لفظة " العبد " في هذا السياق دون غيرها ؛ لأن الإخلاص مرتبط بالعبودية ، فلو استشعر العبد معنى العبودية لخضع وخشع في صلاته ، وترك ما دون الله سبحانه .

(١) الهمس في اللغة : الخفاء

والصورة التشبيهية في قوله صلى الله عليه وسلم " تتهافت عنه ذنوبه كما يتهافت هذا الورق "حيث شبه الذنوب وتساقطها عن العبد بتساقط الورق عن الشجرة .

فقد أخرج صلى الله عليه وسلم الأمر المعنوي – الذنوب – في صورة حسية ،كأن الصحابة يرونها بأعينهم ، وهذا أبلغ في إيصال المعنى إلى ذهن السامع ، لأن قناعة النفس بالأمر الحسي أقوى وأكثر من قناعتها بالأمر المعنوي .

وهذا أدعى إلى قبول الموعظة والامتثال لما يقال ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قد ساق لهم دليلا حسيا وهو صورة تهافت ورق الشجر ، وحينذاك تثبت الصورة في النفس ويكون لها بالغ الأثر .

وحين يستشعر العبد هذه الصورة ويستحضرها وقت الصلاة ، يكون ذلك باعثا على تحري الإخلاص فيها ، فيظل العبد يكابد ويجاهد نفسه حتى تكون الصلاة خالصة ، وبالتالي يحصل لذنوبه تطاير وتساقط ،على نحو ما حدث لأوراق الشجر .

عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ فَقُلْتُ: فِي قَرْيَةٍ دُونَ حِمْصٍ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلَا بُدُوٍّ، لَا يُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ، إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ» (١)

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٤٥٨/٥– محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) – ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) – حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

المد بالألف في قوله " القاصية " يوحي بأن هذه الشاة قد بعدت كثيراً وأمعنت في البعد ، فالألف بطولها يدل على أن هذه الشاة قد أوغلت في البعد ، فهذا البعد لم يكن قليلاَ ، لأنه لو كان قليلاَ لاحتمت هذه الشاة في صاحبها وتمكن من انقاذها، أما في هذه الحالة التي معنا وماهي عليه من البعد الشديد – وقد غابت عن عين صاحبها – لذا لم يتمكن من رؤيتها ولا من إنقاذها من براثن الذئب .

فدل المد في " القاصية " على أن البعد لم يكن قليلاَ بل كان شديدا جدا، وأنه قد طال أمد هذا البعد مما أدى إلى هلاك هذه الشاة .

وأسلوب القصر في الحديث جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ليؤكد الأمر الذي يتحدث عنه ، وهو أهمية صلاة الجماعة .

ومجيء القصر بـ " إنما " دون غيرها من طرق القصر لأنها " تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ". (١)

والأمر الذي ساقه النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله " إِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ " أمر معلوم للمخاطبين ولا ينكره أحد ولا يدفع بصحته .

والمثل الذي ضربه النبي للصحابة وهو قوله "فإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ " ليقرب الصورة ويجسدها أمام أعين الصحابة ، فقد صور لهم حال من يبتعد عن الجماعة ، فيفترسه الشيطان وينتهي أمره بالهلاك، بحال الشاة المنفردة التي ابتعدت عن أقرانها فيفترسها الذئب ، وبهذا التمثيل تزداد قناعة المخاطبين بأهمية الجماعة فيحرصوا عليها ، ويعلموا أن البعد عنها هلاك محقق لامحالة .

(١) دلائل الإعجاز : ٣٣٠– أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)– المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر– مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة : الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م

والمثل من قبيل الاستعارة التمثيلية أو المجاز المركب : فهو اللفظ المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصلّى تشبيه التمثيل؛ للمبالغة [١]

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ٤٧٨/٣ – المؤلف: محمد بن عرفة الدسوقي – المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت ، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم – المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ) – حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

المبحث الثاني

الإيحاء بالإدغام

و " الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا "[١]

عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ» [٢]

المد بالألف في قوله المشائين يدل على أن هؤلاء الموصوفين بتلك الصفة لهم باع طويل فيها وأنهم ذو عراقة في هذا المضمار .

فهذا الفعل لم يصدر منهم مرتين ولا ثلاث ، بل صار ديدنهم .

ومجيء " المشائين " جمعاً نظر للأفراد و اختلاف أماكنهم وطرقهم التي يسلكونها في الذهاب إلى المساجد ، وهذه الصفة لم تحصل لهم دفعة واحدة بل كانت على مراحل بعد تدريب ومران .

وتقديم الجار والمجرور " في الظلم " اهتماماً بشأن المقدم لأنه أمر يحتاج إلى مجاهدة لمشقته وصعوبته علي المخاطبين ، فالمشي إلى المساجد بصفة

---

(١) شرح طيبة النشر : ٥٤

(٢) : سنن ابن ماجه ٢٥٧/١- لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ، سنن أبي داود ١٥٤/١- لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) - المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد - الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ، سنن الترمذي ١ /٤٣٥ - الكتاب: سنن الترمذي - محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى المتوفى: ٢٧٩هـ)- تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)- ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) - وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر- الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م

عامة له ثوابه وأجره العظيم ، لكن تخصيص هذا الوقت دون غيره بهذا الأجر لعظمه .

كما أن الجمع في" المشائين " بمقاطعه الصوتية ، يعبر عن المشقة والمجاهدة التي عاشها هؤلاء الذين يذهبون إلى المساجد في هذه الأوقات ، فالهمزة بثقلها وبعدها الياء ، قد صورا المعاناة التي عاشها هؤلاء في سيرهم في الظلم .

والمفرد – مشاء – مع ما فيه من الإدغام لا يعبر عن الأمور التي عبر عنها الجمع .

" والحقيقة إن جرس اللفظ ووقع تأليف الأصوات ....من أهم المنبهات المثيرة لانفعال النفس عند المتلقي " (١)

ومجيء "الظلم " جمعا لاختلاف أوقاتها وأنواعها ، فما يكون عند أحدنا ظلمة ربما يعده الآخر غير ذلك .

ولا تخفى القيمة الجمالية للطباق بين (الظلم – النور) فبين هذا الطباق أن الجزاء من جنس العمل وأن من تجهم الظلم فجزاؤه النور .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُضِيءُ لِلَّذِينَ يَتَخَلَّلُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ بِنُورٍ سَاطِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».(٢)

(١) الجرس الصوتي – دراسة جمالية د. ياسر الخالدي – م . م كاظم صافي الطائي – بحث منشور – جامعة بابل – العراق – مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية – العدد ١٨ – ٢٠١٤ م

(٢) المعجم الأوسط ١/ ٢٥٧– المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) – المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – الناشر: دار الحرمين – القاهرة

ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بالتوكيد فقد جاء الخبر مؤكداً بأكثر من مؤكد مع أن المخاطبين لا ينكرون كلامه صلى الله عليه وسلم رغبة منه صلى الله عليه وسلم في تأكيد ذلك الأمر.

والفعل " يتخللون " بتضعيف اللام يمثل ويصور حالة هؤلاء الذين يذهبون إلى المساجد ، ويتخللون إليها فهم يتجهمون المشاق في السير إليها خاصة في وقت الظلمة ، فالمشقة تكون أكبر.

والتعبير بالتخلل يدل على أن هؤلاء قد انسلخوا من كل متعلقات الدنيا ، وتركوها وراء ظهورهم ابتغاء مرضات الله ، وهذا الأمر يحتاج إلى مجاهدة للنفس ومقاومة لملهيات الحياة .

والتعبير بالفعل المضارع " يتخللون " إما استحضاراً لهذه الصورة التي كان عليها هؤلاء الذين يرتادون المساجد ، وإما أن تكون للدلالة على تجدد هذا الفعل وتكراره منهم مرة بعد مرة .

وتقييد الفعل " يتخللون " بوقت معين " الظلم " يفيد مضاعفة الأجر في هذ الوقت دون غيره ، وإن كان أجر الذهاب إلى المساجد ثابت في كل الأوقات، إلا أنه قد خص هذا الوقت بأجر خاص .

وتنكير " نور " للعظيم والتفخيم فهذا النور لا يعلم كنهه إلا الله ، وتقيده بالوصف "ساطع "زيادة في هذا عظم هذا النور ، فهو ليس نورا عادياً ، لذا كان الجزاء من جنس العمل ، فكما أن هؤلاء الذين يذهبون إلى المساجد في الظلم ، قد اقتحموا الظلمات في أوقات مختلفة ابتغاء رضوان الله ، كان جزاؤهم النور الساطع يوم القيامة ، والأجر والجزاء من جنس العمل ، فكما أنهم قد مشوا في الظلمات ، كان جزاؤهم النور وليس مجرد نور بل نور ساطع يوم القيامة .

وبين " الظلم والنور " طباق وهذا الطباق بدوره قد أضفى على السياق رونقاً وجمالاً .

كما أن هذا الطباق يعطي الإنسان فسحة للتدبر والموازنة بين أن يجاهد نفسه ويمشي في الدنيا في الظلمات و يمنحه الله النور الساطع يوم القيامة ، وبين أن يتقاعس عن الذهاب إلى المسجد في ذلك الوقت ويحرم ذلك النور .

فهذا أدعى لشحذ الهمم ، والتغلب على النفس في هذه الأوقات التي تشق فيها الطاعة وتثقل على النفس .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا، فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ » (١)

التضعيف في الفعل " أحرّق " جاء دلالة على أن الأمر الذي همّ به النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فيه تهاون ولم يكن مجرد تخويف ، بل كان الفعل الذي نواه النبي صلى الله عليه وسلم وهو الحرق حرقاً حقيقياً يستوعب كل أرجاء هذه البيوت ، وما فيها من أفراد وأغراض حتى يقضي عليها تماما فلا يبقي منها شيئا ، وهذا يدل على عظم الجرم الذي اقترفه هؤلاء ، وهو التفريط في صلاة الجماعة .

وهذا العقاب الشديد كان جراء ترك أمر يعده الشارع عظيماً ، وهو صلاة الجماعة ، فلا ينبغي التهاون في صلاة الجماعة تحت أي ظرف من الظروف .

و اللام في قوله " لقد " للقسم و " قد "تفيد تحقق وقوع الفعل ، وذلك لدخولها على الفعل الماضي "هممت " وهذا يدل على عزم النبي صلى الله عليه وسلم على القضاء الحقيقي على هذه البيوت وأصحابها بالإحراق ، ويؤيد هذا ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم " أنطلق معي رجال معهم حزم من حطب ".

(١) سنن ابن ماجة ١ / ٢٥٩

فقوله " رجال " دل على كثرة عدد هؤلاء الرجال ، كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم " حزم من حطب " .

فكثرة الرجال وكثرة الحزم من الحطب ، تدل على أنه الأمر الذي هم به النبي وهو الإحراق ، لم يكن أمراً سطحيا ، بل كان سيأتي على كل أهل هذه البيوت و كل ما فيها.

والإحراق بالنار عذاب وعقاب اختص به الله تعالى نفسه ، لكن لما كان الأمر خطيرا، وهم به النبي صلى الله عليه وسلم ، عدل عن ذلك القرار الذي اتخذه في نفسه ، لما تذكر أن هذا العقاب خاص بالله تعالى فليس لأحد من البشر أن يعاقب به ، حتى وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» (١)

والتضعيف في قوله صلى الله عليه وسلم "مكفرات " يشير إلى تكرار الفعل مرة بعد مرة فكلما أذنب العبد ذنباً كفرته الصلوات الخمس ، ثم تأتي الجمعة فتكفر هي الأخرى ، ثم يأتي رمضان فيكفر ما تبقى من الذنوب ، فكل هؤلاء يكفرون ذنوب العبد.

فالفعل الذي هو التكفير ، يتكرر بتكرار الصلوات وتكرار الجمعات ، وكذلك رمضان وهذا ما أوحى به التضعيف في " مكفرات ".

وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمور – الصلوات الخمس ، والجمعة ، ورمضان – لتكرارها بصفة منتظمة ، فمنها ما هو يومي ومنها الأسبوعي ومنها السنوي ، فالجامع بين هذه الأمور هو التكرار .

(١) صحيح مسلم ١ / ٢٠٩

وقد يكون الجامع بينها أنها عبادات تجمع المسلمين في توقيت معين . وكلها عبادات مفروضة ، أداؤها واجب ، لذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، كما وضح النبي صلى الله عليه وسلم على الثمرة التي يجنيها العبد إذا حافظ عليها .

عن عَبَايَةُ بْنُ رِفَاعَةَ، قَالَ: أَدْرَكَنِي أَبُو عَبْسٍ وَأَنَا أَذْهَبُ إِلَى الجُمُعَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». (١)

الإدغام في الفعل " اغبرت " للدلالة على تكرار الفعل وكثرته ، فاغبرار القدمين هنا كناية عن كثرة الخروج للجهاد في سبيل الله ، كما أن فيه دلالة على الخوض في أغوار المعركة ، و إخلاص النية في الجهاد ، لأن اغبرار القدمين ، يدل على أن هذا الشخص قد بذل كل قدرته وقوته في الجهاد ، فلم يذهب للجهاد رياء وسمعة .

والراء بطبيعتها تدل على التكرير ، فالتكرار صفتها من غير إدغام ، فكيف إذا تضافر الإدغام مع تلك الصفة ؟ لاشك أن المعنى يزداد كثرة ، فالزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى .

لذا كان التعبير النبوي " اغبرت " للدلالة على أن هذا المجاهد في سبيل الله ، قد تكرر منه ذلك الأمر مرات ومرات ، فكلما سمع هيعة طار إليها .

وانظر إلى جزاء الإخلاص والمرابطة في سبيل الله ، " حرمه الله على النار " فقد جعله الله محرما على النار ، جزاء همته العالية التي لم تتوانى أبدا ولم تتقاعس ، مع إخلاصه النية في ذلك .

(١) صحيح البخاري ٢ / ٧

عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْعَجُّ وَالثَّجُّ» (١)

" العج " (٢)معناه هنا رفع الصوت بالتلبية ، وتشديد الفعل فيه يوحي بالقوة والشدة فهو يدل على الحالة الانفعالية والشعورية التي تنتاب الحجيج في هذا الوقت حينما يستشعرون معنى قولهم (لبيك اللهم لبيك)، فهو ليس مجرد صوت طبيعي وإنما هو صوت يخرج من أعماق القلوب ، بل قل تنفعل به الروح ، فالحاج من هؤلاء يحاول أن يصفي نفسه وروحه ويأتي بأقصى درجات الإخلاص حتى يتقبل منه .

"والثج " هو إسالة الدم ، والتشديد فيه يوحي بفيضان الدم وغزارته وتدفقه دفعة بعد دفعة ، ومعلوم أنه في يوم النحر تكون هناك أضاحي كثيرة جدا تذبح في هذا اليوم .

فكان تعبيره صلى الله عليه وسلم بالثجّ موحياً بكثرة تكرار الفعل في ذلك اليوم ، وبالتالي كثرة فيضان الدم وتدفقه من الأضاحي .

ولا يخفي ما في تعبيره صلى الله عليه وسلم من الإيجاز فقد أغنى قوله صلى الله عليه وسلم " العج والثج " عن كلام كثير ، وقد اختصر هذا الكلام اختصارا ، ولا عجب في ذلك ، فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم كما قال عن نفسه " أوتيت جوامع الكلم " .

---

(١) سنن الدارمي ٢/ ١١٣٠ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) – تحقيق: حسين سليم أسد الداراني (١)– الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م

(٢) يقال عج القوم يعجون، وضجوا يضجون، إذا رفعوا أصواتهم بالدعاء والاستغاثة. تهذيب اللغة ١/ ٥٥

كما أنه صلى الله عليه وسلم قد اختار الكلمة المعبرة عن المعنى المراد بأبلغ صورة ، فلو قال صلى الله عليه وسلم رفع الصوت بالتلبية ، لم تؤدي ما أدته كلمة " العج " ، فالعين ومخرجها القوى وما فيها من النصاعة " مع الجيم " وصفتها الشديدة ؛ دلت على أنه ليس مجرد رفع الصوت بالتلبية فحسب ، بل يضاف إلى ذلك الإخلاص ومطابقة الظاهر للباطن ، فالحال ليس مجرد لسان ينطبق ، بل لسان منفعل بما في القلب من مشاعر وخلجات .

كل ذلك عبر عنه قوله صلى الله عليه وسلم " العج ".

المبحث الثالث

الإيحاء بالتضعيف

قصدت بالتضعيف في هذا المبحث مضعف الرباعي وهو : "ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس وعينه ولامه الثانية من جنس آخر "[١]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ " [٢]

التضعيف في قوله صلى الله عليه وسلم " يغرغر " فالغرغرة معناها تردد الروح في الحلق عند الموت ، والتكرار الصوتي في الكلمة يوحي بتكرار تردد الروح في الحلق ، وهذا ما يحدث عند الموت .

ويلحظ أن التكرار الصوتي لحرف " الغين " الذي يخرج من الحلق ، ومن صفاتها الجهر الذي هو انحباس النفس عند النطق بالحرف ، وحرف الراء الذي يخرج من طرف اللسان وصفته التكرير .

وتكرار هذين الحرفين ، قد صور تردد الروح حين خروجها من الجسد ، وهذا الترداد أو التردد يختلف من شخص لآخر ، فمنا من تنسال روحه كسيلان الماء ، كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم ،ومنا من يشق عليه ذلك الأمر ، حتى تنزع الروح منه كما تنزع الشوكة من الصوف ، وليس بعد هذا التصوير النبوي وصف لمشقة خروج الروح ، وذلك لأن الروح مرتبطة ومتلبسة بالجسد .

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤ /٢٦٨: ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ) – المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد – الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، – الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م

(٢) سنن الترمذي ٥ / ٥٤٧

وحرف الراء بدوره وبصفته التي هي (التكرير) ، صور المشهد أبدع تصوير ، فترداد اللسان عند النطق بحرف الراء ، صور تردد الروح بين الحلق والفم ، ومن عاين هذا المشهد يدرك هذا الأمر جيداً ، يعلم أن هذا التصوير الصوتي الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، قد صور المشهد أصدق تصوير .

وكما أن تصويره صلى الله عليه وسلم للحالة التي يكون عليها العبد حين تحضره المنية ، كان موجزاً ، فقد حوت كلمة "يغرغر" معاني كثيرة ، فبدلاً من أن يقول صلى الله عليه وسلم لا تقبل توبة العبد حين تردد الروح في الحلق ، ويضيق بها صدر العبد وتتردد في الخروج ، كل ذلك أعنت عنه كلمة" يغرغر".

ولا يفوتنا أن نبين أثر التوكيد الذي بدأ به صلى الله عليه وسلم الحديث ، مع أن الصحابة ليسوا منكرين لما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنه لما كان هذا الأمر وهو مغفرة الله تعالى للعبد مادام على قيد الحياة ، لكن بشرط ألا يبلغ الغرغرة ، لما كان مما يتوقع أن يستبعده المخاطبون ، نزلوا منزلة من ينكر هذا الأمر ، وخوطبوا على هذا الأساس ، وأكد لهم الكلام .

ويمكن أن يكون التوكيد راجعا إلى رغبته صلى الله عليه وسلم في التأكيد على هذا الأمر لأهميته وخطورته وهو المبادرة بالتوبة قبل أن تبلغ الروح الحلقوم.

عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ» (١)

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٣

التضعيف في قوله " تزفزفين " فتكرار حرف الزاي والفاء في الكلمة دل على تكرار الفعل وكثرته ، فهو صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة التي تتكون من أربعة أحرف ، قد صور حالة هذه المرأة وما أصابها من الحمى ، والتي جعلتها ترتعد ارتعاداً شديداً لدرجة أن الرائي يلحظ ويرى هذه الرعدة من بعيد .

" فالزاي " بمخرجها الضيق عبر عن ضيق نفس هذه المرأة ، و صفتها الصفير وهذا يمثل صوت النفس الذي يخرجه الشخص المصاب بالحمى ، فهي تجعل صاحبها يتنفس بصعوبة ، وخاصة في حال الارتعاد ، فالشخص يكاد يلفظ أنفاسه بصعوبة ، لذلك صوت النفس عند المصاب بالحمى ، يختلف عن الشخص الطبيعي ، فلا يظهر لنفسه صوت .

وكذلك " الفاء " التي تخرج من الشفتين مع أطراف الثنايا العليا ، دلّ على أن هناك حالة من التأفف مع الرعدة الشديدة ، وقد بدت هذه الحالة واضحة من خلال حديثها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، حين دعت على الحمى وقالت " لا بارك الله فيها " فهي متأففة متضررة مما أصابها من آلام الحمى .

ويأتي التشبيه بدوره ليبين كيفية إذهاب الحمى لخطايا بني آدم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم شبه الحمى وإذهابها لخطايا ابن آدم بإذهاب الكير لخبث الحديد ، وذلك ليقرب هذه الصورة لهذه الصحابية وللصحابة معها .

وحين يكون التشبيه منتزعاً من البيئة ، كما هو الحال هنا ، تكون قناعة النفس به أكثر من غيره ، لأنها عاينته وألفته ، فأثر الكير على الحديد معلوم ومشاهدُ ، ففعل الحمى بخطايا بني آدم كفعل الكير مع خبث الحديد .

وكما أوجز صلى الله عليه وسلم في تصوير لحالة الصحابية التي أصابتها الحمى ،أوجز كذلك حين اتى بهذا التشبيه القريب من العين ، لتقريب المعنى من ذهن هذه الصحابية ، حتى تكون قناعتها بهذا الأمر أكبر وأقوى . وهذا يجعلها تصبر وتحتسب على ما أصابها من مرض وتنتابها حالة من الرضا .

"والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول، وتُسْتَفتَى فيه الأفهامُ والأذهان، لا الأسماع والآذان .... وإنما يتراءى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه سترا، وتعمل تأملا وفكرا [١]

"فالتشبيه إذا يجمع صفات ثلاثة، هي: المبالغة، والبيان، والإيجاز، كما أريتك، إلا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر الذهب، وهو مقتل من مقاتل البلاغة، وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة إما صورة وإما معنى يعز صوابه وتعمر الإجادة فيه" [٢]

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ، وَخَدَمَتْهُمْ فارس والروم، سلط بعضهم على بعض" (٣)

" المطيطاء " هذه الكلمة مكونة من مقطعين هما (المطي – طاء) .

والمطيطاء هي مشية المتبختر ، وهذين المقطعين لهما دلالة إيجابية على طبيعة هذه المشية وما فيها من التثني والتطاول ، فالتثني دل عليه المقطع الأول ، والتطاول دل عليه المقطع الثاني.

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٠ ، ٤٧ المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) – قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر – الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١ /٣٧٨ – المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) – المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد – الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – عام النشر: ١٤٢٠ هـ

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٥ / ١١٢ – محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) – المحقق: شعيب الأرنؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣

فهناك عمليتان يقوم بها هذا المتبختر في مشيته : الأولى هي التثني ، وأخرى هي الصعود إلى أعلى فكان هناك عملية تصاعدية من أسفل إلى أعلى ، هذا ما دل عليه البيان النبوي بكلمة واحدة حين عبر بالمطيطاء .

ويلحظ أن البيان النبوي استخدم " إذا " الشرطية التي تفيد تحقق الوقوع ، وذلك للدلالة على أن هذا الأمر وهو ما ذكر في الحديث واقع ومتحقق لا محالة، فهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى .

وبناء الفعل للمجهول في قوله (سلط) حتى لا يذكر اسم الله تعالى في هذا السياق ، فالفاعل هو الله سبحانه وتعالى ، لكن تأدباً مع الله لم ينسب إليه الفعل في الظاهر ، فأتى بالفعل مبنياً للمجهول .وذلك لأن المقام مقام ابتلاء وتسليط .

كذلك كان بناء الفعل للمجهول موحيا بأن السبب في التسليط هو ما اقترفته أيدي هؤلاء ، وما كانوا عليه من التعالي والخيلاء ، وموالاتهم للفرس والروم واتخاذهم دروعاً وحماة من دون المؤمنين .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخرء بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ» [1]

(١) شرح السنة ١٣ / ١٢٤- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) - تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش- الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

التضعيف أو التكرار الصوتي في كلمة يدهده (١) والتكرار ، يوحي بتكرار الفعل الذي هو الدهدهة ، والدهدهة هي تحريك للبعرة وليس مجرد تحريك بل هو دحرجة مرة بعد مرة .

وإيثاره صلى الله عليه وسلم الفعل دهده دون غيره ؛ مثل " دحرج " لأن الدحرجة تكون للشيء الثقيل الذي لا يمكن حمله أو يثقل حمله ، أما " دهده " فتكون للشيء الخفيف الهين ،وهذا ما توحي به حروف كلمة "يدهده " فالهاء حرف ضعيف و منه الهت وهو الضعف ، فهو حرف (رخو – مهموس – مستفل – منفتح) وهي كلها صفات ضعيفة .

والفعل "دهده " لا يكون إلا بالأشياء الهينة الخفيفة على نحو ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم .

فلنا أن نتخيل الفاعل الذي هو (الجُعل) وهو الدويبة الصغيرة ، وأداة التحريك وهي الأنف ، والشيء المحرك وهو البعرة أو الفضلات ، كل ذلك بين أن الدهدهة للأمر الحقير الهين .

والذي يبدو أن الحديث فيه تشبيه ضمني ، حيث شبه هؤلاء الذين يفتخرون بآبائهم الذين كانوا في الجاهلية وماتوا وهم كفار بالجعل الذي يحرك البعرة بأنفه .

فقد شبه المفتخرون بآبائهم بالجعل وهو الدويبة الصغيرة ،ووجه الشبه واضح وهو الضآلة والحقارة ،فقد شبه أباءهم بالخرء وجعل هذه العملية التي هي الفخار بالآباء كالدهدهة (الدحرجة) فلا ينتج عن هذا التحريك إلا زيادة قبح وتنفير ، فالأمر مع التحريك يزداد قبحا .

وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة المنتزعة من البيئة ، للتنفير من هذا الفعل الشنيع ، الذي هو الفخر بآبائهم الكفار الذين ماتوا على الكفر ،وهي صورة قريبة من الأذهان وحقارتها واضحة لا تخفى على أحد .

وهذه الصورة التي أتى بها البيان النبوي ، تجعل الشخص الذي يفاخر، يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على هذا الفعل الذي هو الفخار بآبائهم الكفار، فلا يمكن له أن يتخيل هذه الصورة ثم يأتي بعد ذلك ويفاخر بهم .

وإيثار البيان النبوي (للأنف) دون الوجه مثلاً ، مع أنه قد يشترك في هذه العملية " الدهدهة "أجزاء أخرى من الوجه ؛ وذلك لأن الأنف هو موطن الأنفة والعزة والكرامة ، كما أنه أعلى جزء في الوجه وعليه يظهر التفاخر والتعالي ، لذا اختاره النبي صلى الله عليه وسلم و آثره على غيره .

كما أن إيثاره صلى الله عليه وسلم للأنف ، ليصور ويبين للصحابة أنه ليس بمقدورهم استيعاب هذا الأمر وتحمله ؛ لأنه لا يمكن لأي شخص أن يتحمل ذلك الأمر وهو (تحريك شيء قبيح قذر بالأنف) .

وقد أبتدأ النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بالقسم ، وذلك لأهمية الأمر المنهي عنه وخطورته ، ولما له من أثر سيء في النفوس ، فنبرة التعالي والتفاخر بالآباء وازدراء الأخرين والتحقير من شأنهم ، من الأمور التي تؤجج الحقد والكراهية في النفوس ، وهذا ما نهى عنه الاسلام ، لذا كان القسم لعظم الأمر وخطورته على المجتمع الإسلامي .

وإيثاره للفظة " أقوام " مع علمه بمن فعل هذا الأمر ، من باب الستر على هؤلاء الذين يفاخرون ، فلو واجههم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، ربما أعرضوا ولم يمتثلوا للأمر .

والاتيان " بأقوام " جمعاً للدلالة على الكثرة ، فدل هذا التعبير على أن الفعل لهذا الأمر ليس حالة فردية ، فيبدوا أن هذا الأمر قد انتشر بين فئة من الصحابة ، فكان لابد من تنبيهه صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر والتحذير منه .

ومجيؤه صلى الله عليه وسلم بأسلوب القصر (إِنَّما هُمْ فَحْمُ جهنمَ) ، لقصر هؤلاء الآباء الكفار على كونهم فحم جهنم ، فقد بين بهذا القصر أن هؤلاء الآباء

لا قدر ولا قيمة لهم في الآخرة ، وليس هذا فحسب بل لهم عذاب شديد يوم القيامة ، فهم من شدة ما يلاقون من العذاب سيكونون فحم جهنم .

وأسلوب القصر الآخر في قوله صلى الله عليه وسلم (إِنَّما هو مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ) قد حصر به النبي صلى الله عليه وسلم الناس في صنفين هما (المؤمن التقي والفاجر الشقي) فاختر لنفسك أن تكون من أي الصنفين شئت .

فأما أن تكون مؤمناً تقياً ، وحينئذ لا يليق بك هذا الوصف وهو (الكبر والتفاخر بالآباء) ،وأما أن تكون فاجراً شقياً ، وحينها افعل ما شئت .

ونلحظ أنه صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على صفة الايمان فقط في قوله (مؤمنا تقياً) بل اتبعها بصفة التقوى ، فالتقوى مرتبة تعلو مرتبة الإيمان وتزيد عليها .

وهذا التقسيم الذي جاء به النبي عن طريق القصر لا يجعل هناك قسماً ثالثاً للناس ، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول للصحابة اختاروا أي القسمين شئتم.

ثم جاء في آخر الحديث بأمر هو مدعاة للتدبر والتفكر ، ولو أيقنه الناس وتفكروا فيه لكان رادعاً لهم عن هذه الخصلة الذميمة ، وهو قوله (النَاسُ كلُّهُمْ بَنُو آدمَ وآدَمُ خُلِقَ من تُرَابٍ) فإذا تفكر الناس في هذا الكلام ؛ رجعوا إلى أنفسهم، وعلموا أنه لا يحق لهم التعالي والكبر والتفاخر والتباهي ؛ لأن من كان أصله كذلك فبم يتفاخر ؟ بتراب لا قدر له و لا قيمة ؟.

فمقياس التفاضل في ديننا قد حدده النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : لا فضل لعربي على عجمي و لا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى . [١]

(١) مسند أحمد ٣٨ / ٤٧٤

وقوله (وآدَمُ خُلِقَ من تُرَابٍ) جاء به النبي على سبيل الإيغال [١] وذلك لأنه لما قال صلى الله عليه وسلم (الناسُ كلُّهُمْ بَنُو آدمَ) علم أن المقصود منه أنهم مخلوقون من تراب ، فجاءت جملة وآدَمُ خُلِقَ من تُرَابٍ لتزيد المعنى وضوحا وانكشافا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْهِ، قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي بَطْنِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "[٢]

التضعيف في الفعل (يتجلجل) يوحي بالعمق مع تكرار الفعل ، فالتجلجل يتكرر بعمق درجة بعد درجة كل درجة أعمق من التي قبلها ، فهذا الانسان المختال المتبختر في مشيته على ظهر الأرض ، جزاؤه أن يخسف الله به ، فيظل يتدحرج في باطن الأرض درجة أعمق من التي قبلها ، إمعاناً له في الوحشة والعذاب في باطن الأرض .

فتكرار المقطع (جل – جل) أوحى بتكرار التدحرج وبالتالي تعمقه في باطن الأرض .

كما أوحى هذا الفعل (يتجلجل) بأن هذا الخسف والتدحرج كان شديداً قوياً مدوياً ، حتى سمع له صوت شديد وهو الجلجلة وكأن هناك انفجاراً قوياً قد حدث في باطن الأرض .

وحرف الجيم بطبيعته حرف شديد انفجاري ، وتكراره يدل على أن هناك انفجار يتبعه انفجار .

(١) الإيغال : ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها . حاشية الدسوقي ٢ /٧٠٣

(٢) مسند أحمد ١٦ /٥٠٥

ويأتي حرف الجر (في) ليؤكد هذا الكلام ، فهي أي (في) بما تقيده من الظرفية ، أفادت تلبس هذا الرجل بعمق في باطن الأرض .

ولنا أن نتخيل هذه الصورة التي أتى بها البيان النبوي ليصور لنا حالة هذا الرجل المتكبر ، تلك الصورة التي فيها من الحركة الشديدة العنيفة التي تجعل هذا المتكبر يتغلغل في أعماق الأرض ، وصوت الانفجار المدوي كل هذه الأبعاد جسدها النبي صلى الله عليه وسلم في كلمة واحدة هي : (يتجلجل) .

وفي بيان عقوبة المتكبر تنفير من الكبر ونبذ هذا الخلق الجاهلي .

وتنكير " رجل " للتحقير والتهوين ، وسبب حقارة هذا الرجل : أنه فعل فعلاً يغضب الله وهو التكبر والتعالي والخيلاء ، فلما حقر هذا الرجل بفعله هذا ؛ هان على الله فخسف به الأرض .

والتنوين في" حلة " قد يكون للتفخيم من شأن هذا الحلة ، فهي حلة عظيمة الشأن في عين صاحبها لذا أصابته بأمراض كثيرة أدت به إلى الهلكة والهاوية : المرض الأول هو العجب ، والمرض الثاني هو الخيلاء ،وهذان المرضان أذا أصابا العبد ؛ أودا به إلى أسفل سافلين كما ورد في الحديث .

ويمكن أن يكون التنكير في حلة للتحقير ، فقد أودت هذه الحلة بصاحبها إلى هذا المصير المهلك ومن هنا كانت حقارتها .

خاتمة و نتائج البحث

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

بعد عشت مع هذا البحث فترة ليست بالقصيرة تبين لي ما يلي

١- أن البلاغة النبوية تفوقت على كل بلاغات البشر فلا تدانيها بلاغة البلغاء ولا فصاحة الفصحاء .

٢- تأثر النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله بالهدى القرآني ، وببلاغته وبما فيه من جرس صوتي وتخير اللفظ .

٣- من أبرز ملامح بلاغته صلى الله عليه وسلم الايجاز في أبدع صوره ، واستخدامه صلى الله عليه وسلم لفنون البلاغة المختلفة ، حتى يقرب المعنى إلى ذهن السامع .

٤- من أهم فوائد الايحاء الصوتي الإيجاز، فالإيحاء يحوي في طياته معاني كثيرة ، كما بينت في غير موضع من البحث .

٥- مجيء الايحاء في كلامه صلى الله عليه وسلم قد صور معاني كثيرها وجسدها ، كما أن فيه إعمال للفكر وكد للذهن حتى تستخرج ما وراءه من معاني وصور .

وأخيرا أوصي إخواني وأخواتي من الباحثين والباحثات بالغور في هذا المضمار الذي هو ملامح بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم من الناحية الصوتية فقد قل السالكين لهذا الطريق .

المصادر و المراجع

١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) – ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) – حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٢) أسرار البلاغة – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) – قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة .

٣) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم – إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي

(ت: ٩٤٣ هـ) – حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .

٥) البيان والتبيين – عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) – دار ومكتبة الهلال، بيروت – عام النشر: ١٤٢٣ هـ .

٦) تاج العروس من جواهر القاموس – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) – المحقق: مجموعة من المحققين – دار الهداية .

٧) التعريفات – علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر – دار الكتب العلمية بيروت –لبنان – الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

٨) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: ٧٩٢ هـ) – محمد بن عرفة الدسوقي – المحقق: عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية، بيروت .

٩) دلائل الإعجاز في علم المعاني – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) – المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر – مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

١٠) روح الاجتماع : جوستاف لوبون ، ترجمة : أحمد فتحي زغلول مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

١١) سر صناعة الإعراب – أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) – دار الكتب العلمية بيروت–لبنان – الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م .

١٢) سنن ابن ماجه – المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)– تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي– الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

١٣) سنن أبي داود – المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) – المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد– الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٤) سنن الترمذي – محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) – تحقيق وتعليق:– أحمد محمد

شاكر (جـ ١، ٢) – ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)– وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

١٥) شرح السنة – محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) – تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

١٦) شرح طيبة النشر في القراءات – شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) – ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

١٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

١٨) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

١٩) صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٠) الفروق اللغوية – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) –حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم – دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر .

٢١) كتاب العين – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) – المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال .
٢٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) – المحقق: عدنان درويش – محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت .
٢٣) لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
٢٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) – المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة .
٢٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل – أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) – المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
٢٦) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) – أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) – تحقيق: حسين سليم أسد الداراني – دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م .
٢٧) المعجم الأوسط – سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) – المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – دار الحرمين – القاهرة .

٢٨)وحي القلم – مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) – دار الكتب العلمية – الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

- **المجلات والدوريات :**

١) مجلة الإسلام .

٢) مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية ـ جماعة بابل ـ العراق .

- **المواقع الإلكترونية :**

موقع ملتقى أهل التفسير .

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١١٠٣
التمهيد	١١٠٦
المبحث الأول : المد وإيحاؤه	١١١٠
المبحث الثاني : الإيحاء بالإدغام	١١٢١
المبحث الثالث : الإيحاء بالتضعيف	١١٢٩
الخاتمة	١١٣٩